المقتطف

الجزء الثاني من السنة السادسة * تموز ١٨٨١

تاريخ الطباعة

اذا لم تكن الطباعة افضل مخترعات البشر فالكتابة وحدها تسبقها في هذا الفضل . وكما ان الكتابة لم تكن في بادئ امرها سوى صور المسمّيات ثم تدرّجت الى ان صارت علامات للاصوات المركبة منها اسماء المسميات كذلك الطباعة كانت تقوم في اول امرها بنقش الكلمات على الخشب او المعدن (كما تنقش الصور الآن) وطبعها على القرطاس ثم انتقلت الى نقش الحروف الهجائية منفصلة وتركيب الكلمات منها وطبعها على القرطاس . الّا ان انتقالها حدث دفعةً واحدة ولم تطوِ الايام ذكر ناقلها كما طوت ذكر واضع حروف الكتابة . وكان الطبع بصفائح الخشب او المعدن معروفًا عند البابليين القدماء ولم تزل مطبوعاتهم على الاجر الذي ينقب من اطلال مدنهم . وكان مستعملاً ايضًا في اوربا حتى اواخر القرن الرابع عشر للمسيح ولم يزل مستعملاً عند الصينيين حتى يومنا هذا وهم يكتبون ما يريدون طبعهُ على ورقة رقيقة ويلصقونها بلوح صقيل من الخشب وينقشونهُ بحيث تبقى الحروف ناتئة فيهِ ثم يدهنونهُ بالحبر ويضعون القرطاس عليهِ ويضغطونهُ شيئًا ناعمًا فتنطبع الكتابة عليهِ . ولا يخفى ما في ذلك من المشقة الشديدة والنفقة الجزيلة ولاسيّما اذا قوبل بالطباعة بالحروف المنفصلة

مخترع الطباعة بالحروف المنفصلة هو لورنس كوستر الهولندي او يوحنا غوتنبرج الجرماني . اما لورنس كوستر فوُلد في هارلم سنة ١٣٧٠ ونشأ فيها وكان يحب الانفراد والتردّد على الغياض . ولمّا لم يكن لهُ ما يتسلى بهِ كان يقرع قطعًا من لحى الاشجار وينقش فيها حروفًا هجائية وليث يفعل ذلك منذ كان شابًّا وينقش اسم من لعبت بفؤادهِ الى ان علاهُ الشيب فصار ينقش ما يُلعب بهِ اولاد اولادهِ . ونقش يومًا بعض الحروف ولفّها في قطعة من الرق وعاد بها الى بيتهِ فلما فتحها رأى آثارها مطبوعة على الرق فانتبه

من ساعدهِ لامر الطباعة بالحروف المنفصلة ونقش حروفًا اخرى وجعلها معكوسة لكي يكون اثرها مستقيمًا وضمها معًا ودهنها بالحبر وطبع بها قطعة من الرق فاذا بالكتابة واضحة عليها وضوح الطباعة بصفائح الخشب المتقدم ذكرها. فتوسم الخير في هذه الصناعة وقدّر لها حسن الاستقبال وثمّر عن ساعد الجد عازمًا ان يتقنها ويجعلها غرض حياتهِ بعد ان كانت من تسليتها. وكان الحبر الذي استخدمهُ يتنشى على الرق فاستنبط حبرًا لزجًا لا يتنشى كذلك. ثم عنّ لهُ ان يصنع الحروف من الرصاص بدلًا من الخشب ولمّا رأى حروف الرصاص لا تفي بالغرض صنعها من النحاس لانهُ اصلب وامتن. ولكن اصابهُ ما كان يصيب كل مخترع ومكتشف اي ان الناس اتّهموهُ بالكفر والسحر ونحو ذلك من التهم حسدًا وعدوانًا. وفيما هو يحاول اتقان هذه الصناعة رغمًا عن حسد الحاسدين اتاهُ يوحنا غوتنبرج وسرقها منهُ او استعان بهِ على اجراء ما كان في مخيلتهِ

ويوحنا غوتنبرج هذا وُلد في اواخر القرن الرابع عشر من عائلة جرمانية ذات شأن ولقي من الادب حظًّا وافرًا وكان يدنًا ومغرمًا بالجولان فسافر في ايطاليا وسويسرا وجرمانيا ودخل هولندا فلقي فيها كوستر كما تقدّم فكاشفهُ كوستر بسرّ صناعتهِ على ما يقول الهولنديون واراهُ كتابًا في نحو اللغة اللاتينية كان قد طبعهُ بالحروف التي صنعها. والمظنون ان يوحنا كان قد تأمّل في هذه الصناعة قبل ذلك. ومنهم مَن يقول انهُ كان قد اهتدى اليها بنفسهِ. وكيف كان الحال فالظاهر انهُ عزم من ساعتهِ على اتقانها فمضى الى ستراسبورج وصنع حروفًا من الخشب ونظمها بسلك معدني وطبع بها قطعةً من الرق فجاء الطبع عليها جليًّا واضحًا. وكان في ضواحي المدينة دير هجرهُ الرهبان وسكنتهُ الخفافيش فاقام فيهِ وجعل يعمل في الصياغة وصقل الجواهر وسبك الزجاج ونحو ذلك من الاعمال التي قصد بها التعيّش والتستّر وكان غرضهُ الاكبر اتقان فن الطباعة فعيّن احدى غرف الدير الداخلية لهذا العمل وكان يقيم فيها كلما سنحت لهُ الفرصة يصنع الحروف ويطبع بها. وحينئذٍ لاح لهُ ما لاح لكوستر وهو ان يصنع الحروف من المعدن فصنعها منهُ واستنبط انواعًا مختلفة من الحبر الملوّن وسبارش ومحادل لتحبير الحروف ومصفّات لصفها ومطبعة لطبعها على الورق. وكان اتقان الطباعة غرضهُ الوحيد من الدنيا فكان يفكّر فيهِ ليلًا ونهارًا. فحلم مرةً انهُ سمع صوتًا رخيمًا يقول لهُ ابشر فانك قد عملتَ عملًا عظيمًا يخلّد اسمك. ولم يلبث ان سمع هذا الصوت حتى سمع صوتًا قبيحًا يقول لهُ ان الاشرار اكثر من الاخيار فيستخدمون الطباعة للشر فتكون ثمرتها اللعنة لا البركة. قيل ولما سمع ذلك انعتهُ افكارهُ وكثرت هواجسهُ فعزم ان يكسر كل الادوات التي صنعها ولكن خالج قلبهُ حينئذٍ ان نعَم الله وهي خير محض يستخدمها الاشرار للشر ولا يلزم عن ذلك ملامتها فاعرض عن كلام اللاحي

واشترك سنة ١٤٣٦ مع رجل اسمهُ اندراوس دريزهن فلم تطل ايام هذا الشريك حتى توفي فعزم

غوتنبرج على فسخ الشركة فلم يقبل اخو المتوفّى بذلك ورافعهُ الى الحاكم فحكم لهُ . ولو اباح غوتنبرج بما اشتركا فيهِ ما حكم عليهِ ولكنهُ فضّل مبايعة المدينة على الاباحة فاتى مينز سنة ١٤٤٣ واشترك مع رجل اسمهُ فوست سنة ١٤٤٩ وهو صائغ غني وطبعا كتبًا كثيرة في جملتها التوراة اللاتينية وهي اوّل توراة طُبعت لا اول كتاب طُبع (انظر الشكل الاوّل) ولكن السعد ابى الاّ معاندة هذا الرجل وذلك لان الكهنة نظروا

الشكل ١ . غوتنبرج وفوست يطبعان التوراة

الى الكتب المطبوعة شرورًا والسباغ حسبوها عدوًّا عاملاً على سلب معيشتهم وكلهم زعموها من عمل الشياطين وقاوموها مقاومة يطول شرحها . الاّ انها نجحت رغمًا عن كل اعدائها وامتدّت الى رومية والبندقية وفلورنسا وميلان وباريز وغيرها من مدن اوربا قبل سنة ١٤٧١ وبلغت انكلترا في تلك السنة وسكوتلندا سنة ١٥٠١ ودبلين عاصمة ارلندا سنة ١٥٥١ . وحيثما امتدّت وجدت اعداءها بالمرصاد فلم يقوَ الصناع على اتقانها وبقيت حتى اواسط القرن السابع عشر على ما كانت عليهِ حينما خرجت من

بد كوستر وغوتنبرج في بساطة آلاتها اي انها ليست مضغطًا بسيطًا

وسنة ١٦٣٠ خطا وليم بلو الهولندي أوّل خطوة في ترقيتها فصنع مطبعة فيها زنبرك يرفع السطح الضاغط بعد ان يكون قد ضغط القرطاس على الحروف . وكان اكثر اجزاء هذه المطبعة من الخشب . ثم تلتها مطبعة فرنكلين التي استعملت في بلاد الانكليز بعد ذلك بنحو مئة سنة وهي مثل مطبعة بلو وتظهر بساطة اجزائها من النظر الى الشكل الثاني . وفي اواخر القرن الثامن عشر صنع ارل ستنهوب المطبعة المشهورة المنسوبة اليه من الحديد وجمع فيها بين المخل المركّب واللولب وصورتها في الشكل الثالث . وسنة ١٨١٧ صنع جورج كليمر الاميركاني المطبعة المسماة بمطبعة كولمبيا المرسومة في الشكل الرابع . وسنة ١٨٢٩ صنع بطرس سمث المطبعة المسماة بمطبعة وشنطون وهاتان الاخيرتان بالفتان غاية الاتقان بين المطابع ذوات السطح

الشكل ٢ . مطبعة فرنكلين

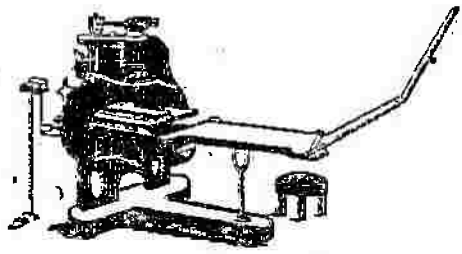

الشكل ٣ . مطبعة ستنهوب

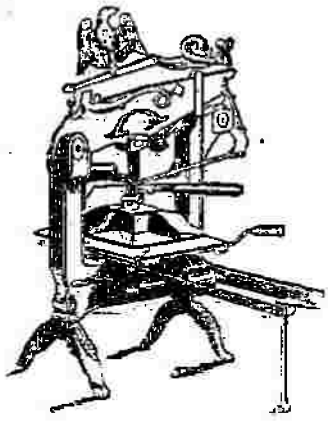

الشكل ٤ . مطبعة كولمبيا

التي تحرّك باليد اما المطابع ذوات الاسطوانين وذوات السطوح التي تحرّك بالآلة البخارية فسيأتي تفصيلها في الجزء القادم ان شاء الله

ذُكر في استانبول في ٢١ الماضي انه ورد في اخبار ساقس الاخيرة انه حدث فيها زلزال جديد انهدمت به الابنية التي لم تنهدم بالزلزال الاول ومع ذلك قد اخذ كثيرون من سكانها بالعود اليها